

لا تراهن على خيار واحد

ثمة خطأ استراتيجي يقع فيه الكثيرون حين يرهنون توازنهم النفسي، ومستقبلهم، بل ونجاتهم الأخروية، على "خيار وحيد"؛ سواء كان شهادة علمية، أو وظيفة مرموقة، أو حتى شعيرة تعبدية واحدة يظنون فيها النجاة. إنَّ حصر الذات في زاوية واحدة هو وضعٌ للنفس على حافة الخطر؛ فماذا لو اهتزت تلك الوظيفة؟ أو تبين للمرء أنَّ عمله الصالح قد اعتراه نقصٌ أو غابت عنه روح الإخلاص؟

الوضعية الصحيحة للإنسان الراشد هي "تعدد الميزات" وترقية الخصائص، بحيث لا يسقط بسقوط أحدها:

- **في الفضاء التعبدي:** قيام الليل فضيلة كبرى، لكن السلامة تقتضي ألا يغيب عنها برّ الوالدين، أو صدقة السر اليومية، أو المسارعة للمساجد. التكامل في العبادة هو الذي يصنع "المؤمن الشمولي" لا المؤمن الظرفي.

- **في المسار المهني والعلمي:** لم يعد الاكتفاء بتخصص واحد ضماناً للأمان. المهندس المبدع هو الذي يمدُّ بصره نحو إدارة المشاريع، والمعلم المتميز هو الذي يمتلك ناصية "التعلم التعاوني" أو "اللعب التربوي". إتقان لغة ثانية ليس ترفاً، بل هو "نافذة إضافية" لرؤية العالم.

- **في المواطنة الحضارية:** تعاني الأمة من ثغراتٍ كثيرة، والحل لا يأتي من الشعارات، بل من "التفوق على الأقران". التمتع بميزات إضافية يجعل من المرء "رقماً صعباً" في معادلة النهوض، وجزءاً حقيقياً من الحل بدلاً من أن يكون عبئاً جديداً على المشكلة.

الخلاصة:

النجاح ليس نقطة واحدة نصل إليها، بل هو "مساحة" تتسع كلما أضفنا لأنفسنا مهارة جديدة، أو خبيئة صالحة، أو معرفة نافعة. إنَّ تشعب العطاء هو الذي يحمي النفس من الانهيار عند الأزمات، وهو الذي يجعل الأثر أبقى وأعمق.